

ديفيد هيرست: السعودية والإمارات مهدّتا الأجواء لترامب

لم يكن بوسع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الخروج يوم الأربعاء الماضي باعترافه المثير للجدل، بأن القدس عاصمة إسرائيل، دون أجواء يهيئها داعمون إقليميون له قبل هذا الإعلان التاريخي، وفق ما ذكر الكاتب الصحفي البريطاني ديفيد هيرست، في مقال له تناول فيه هذا الجانب.

وقال هيرست: إن ترامب بإعلانه هذا ألقى جانباً أيّ ادعاءٍ متبقيٍّ بقدرة الولايات المتحدة على التوسُّط في اتفاقٍ بين إسرائيل وفلسطين، "إذ لا يمكن أن يكون هناك أي حيادٍ الآن، فبدون القدس عاصمةً لها، لا يمكن أن توجد أي دولة فلسطينية. وبدون ذلك، سيكون الأمر مسألة وقتٍ فقط قبل أن تبدأ انتفاضةٌ جديدةٌ".

وأشار هيرست، في مقاله الذي نقلته "هاف بوست"، إلى أن ترامب لا يتحرَّك وحده. "فأياً ما كان جمهور الناخبين المحلي الذي يعتقد أنَّهُ يستميله بتلك الخطوة، ويبدو أنَّ المسيحيين الإنجيليين في مقدمة ذلك الجمهور، ما كان ترامب ليتمكن من، ولا ليُقدِّم على، إصدار هذا الإعلان لو لم يكن لديه داعمون إقليميون".

ويتابع: "يُعدّ دعم حزب الليكود الذي يتزعمه بنيامين نتنياهو، والقوميون المتدينون من حزب إسرائيل بيتنا أمراً مفروغاً منه، لكنّ هؤلاء مللنا من معرفة موقفهم، أمّا الدعم الغريب الشاذ واللافت فيأتي من جيلٍ جديد من الأشقياء الخليجيين من الشباب، الذين لا يُظهرون التوقير والاحترام، ويمارسون التفحيط، ويلتقطون صور السيلفي أمامك، ثمّ تجدهم يظهرون في انقلابٍ ما قريباً منك".

ويتحدّث الكاتب البريطاني هنا عن محور للعرب المستبدين، الذين يتجاوز طموحهم الجيوسياسي مقدراتهم.

ويعتقدون حقاً أنّ لديهم القدرة لفرض إرادتهم ليس على شطايا الدولة الفلسطينية فقط، بل وعلى المنطقة ككل. ويقول: "هناك دولٌ بوليسية حديثة قيد التأسيس، في أذهانهم على الأقل، يعلو كلاً منها مسحةٌ براقّة من الليبرالية الغربية.

وكلهم ينظرون إلى الليكود باعتباره شريكهم الطبيعي، وإلى جاريد كوشنر باعتباره محاورهم الحبيب.

ولا تحتوي قواميسهم مفردات التفكير، أو التدبُّر، أو التعاون، أو الاستشارة، أو التوافق. وستؤجّل الديمقراطية، وسيجري توجيه حرية التعبير. وبالنسبة للعرب؟ هم هناك ليتم شراؤهم".

وأشار إلى أن ذلك كان هو السبب الذي دفع القيادة السعودية الجديدة، للاعتقاد أنّ بإمكانه إرغام محمود عباس، الرئيس الفلسطيني، على الرضوخ، فوفقاً لعدة مصادر نقلت عنها صحيفة نيويورك تايمز الأميركية، أبلغت السعودية عباس إمّا أن يقبل الشروط -لا قدس، ولا حق عودة - أو أن يُفسّح المجال أمام شخصٍ آخر يقبل ذلك، وقال العديد من المسؤولين إنّ السعودية عرضت دفع أموالٍ مباشرة لعباس حتى يجعل الاتفاق أكثر جاذبية له، وهو ما رفضه الأخير.

حملة التطبيع ليست عفوية

ورأى هيرست أنه جرى تنظيم تهديدات السعودية عبر جوقّة من الكُتّاب والصحفيين السعوديين المرخصين، ممن يُبعد جميعهم نفسه عن القضية الفلسطينية ويطالبون بتطبيع العلاقات مع إسرائيل، وذكر أن أهم هؤلاء هو الكاتب والروائي السعودي تركي الحمد. فغرّس الحمد قائلاً لماذا يجب أن يزعم نفسه بدعم الفلسطينيين إن كان الفلسطينيون أنفسهم قد باعوها؟ فلسطين لم تعد قضية العرب الأولى، وهناك الكثير من الأصوات السعودية الأخرى التي تقول الشيء نفسه، فغرّس حمزة بن محمد السالم،

الكاتب والمحلل الاقتصادي: "إذا عُقِدَ سلامٌ مع إسرائيل، وتسهّلت الفيزا والدخول والخروج، فإنّـها ستصبح المحطة السياحية الأولى للسعوديين"، كما أشار الكاتب البريطاني إلى ما كتبه المدير العام السابق لقناة العربية، عبدالرحمن الراشد: "حان الوقت لإعادة النظر في كل مفهوم المعاملات مع فلسطين وإسرائيل"، وقال حينها محمد آل الشيخ: "قضية فلسطين ليست قضيتنا.. وإذا أتاكم متأسلم (متمكيج) ودعا إلى جهاد فابصفوا في وجهه".

وفي بلدٍ يمكن أن تزج بك تغريدةٌ خاطئة في السجن 3 سنوات، ليست تلك تعبيراتٍ عفوية. بل إنّـها تُجهِـز الأجواء للإعلان الذي قام به ترامب، وفق هيرست.

تقسيم المنطقة

ويقول الكاتب البريطاني: إن المحور الذي يقف خلف ترامب: يشمل قادة السعودية والإمارات، ومصر، والبحرين، وتطرق في هذه النقطة إلى حصار قطر، ثم إلى محاولة إرغام الحريري على الاستقالة كرئيسٍ لوزراء لبنان، أو حتى انفراط عقد مجلس التعاون الخليجي وتكوين تحالف عسكري اقتصادي بين السعوديين والإماراتيين، مشيراً إلى أن ما كان لكل ذلك أن يحدث دون ضوءٍ أخضر من ترامب.

وقد مكّن ترامب القيادة السعودية من تحطيم ركائز الدولة السعودية، وسلب أبناء عمومته من ثرواتهم، وإلباس كل ذلك ثوب التحديث والإصلاح، لكنّـهم، هم أيضاً، سمحوا لترامب بفرض قراره بحظر السفر، وإعادة تغريد وسم الفاشيين البريطانيين حول المسلمين.

وأحدثت الفوضى التي خلقتها تلك المجموعة مسافةً واضحة مع مجموعةٍ أخرى من حلفاء الولايات المتحدة، التي تشعر بتبعات تلك السياسات على أنفسهم، فحاول كلٌّ من العاهل الأردني عبد الله الثاني والرئيس الفلسطيني محمود عباس تحذير واشنطن من أخطار ما كان ترامب مُقدِّماً على إعلانه بشأن القدس. ويريان نفسيهما محاصرين في زاويةٍ، وقد خسرا المجال للمناورة. وانضمت تركيا إلى الأردن، التي يحظى رئيسها رجب طيب أردوغان بدعم عابر للأحزاب لتعليق العلاقات مع إسرائيل. وتتولى تركيا حالياً رئاسة منظمة التعاون الإسلامي التي تضم 57 بلداً.

وينضم القوميون أيضاً إلى هذا الاحتجاج الصاخب. فحدّـر زعيم حزب الحركة القومية التركي المعارض، دولت بهجلي، من أنّـ الولايات المتحدة كانت ترتكب "خطأً تاريخياً" بقرارها الاعتراف بالقدس عاصمةً لإسرائيل. وقال بهجلي: "مؤامرة القدس خنجر رُفِعَ لظعن كل الأمور التي نعتبرها مُقدّـسة".

وتتمثّل المجموعة الثالثة في إيران، والعراق، وحزب الله، الذين حصلوا من جديد على هدية فوق طبقٍ من فضة. فقد منح ترامب الآن إيران فرصة هائلة لإصلاح الضرر الذي تسبّب به الحرب الأهلية في سوريا مع المجموعات والبلدان السُّنّيّة الأخرى، لتقول من جديد: "إنّنا معكم فيما يتعلّق بالقدس". وهي الدعوة التي ستقبلها طهران بشغف.

أمّا المجموعة الرابعة فهي مجموعة لن يتمكّن ترامب، ونتنياهو، وقادة السعودية والامارات من الوصول إليها أبداً. إنّهم الفلسطينيون أنفسهم. تاريخياً، يكونون في أقوى حالاتهم حين يكونون في أشد حالات عُزلتهم. وقد ظهرت تلك القوة في بداية الانتفاضتين الأولى والثانية. وهو ما ظهر حين أُرغمت إسرائيل على رفع حواجزها الأمنية عند مدخل المدينة القديمة.

ولا يوجد أي فلسطيني، سواء كان قومياً، أو علمانياً، أو إسلامياً، أو مسيحياً، بوسعه خسارة القدس كعاصمةٍ لهم، وسنرى بالضبط ما يعنيه هذا في الأيام والأسابيع المقبلة. فهناك 300 ألف من المقدسيين المقيمين، دون أن يكونوا مواطنين، للعاصمة الإسرائيلية المُعلنة حديثاً، وقد ألقى ترامب قنبلةً وسطهم.

وسيكون اليوم الجمعة 8 ديسمبر، الذكرى الثلاثين للانتفاضة الأولى. فقط راقبوا رد الفعل الفلسطيني على جدران البلدة القديمة، آخر "الزوايا" التي تُركت لهم، وهي تضاء بألوان العلمين الإسرائيلي والأمريكي.